الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية
خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة

تأليف

الدكتور محمد جمال الدين سرور

أستاذ التاريخ الإسلامي

بكلية الآداب — جامعة القاهرة

الطبعة الثانية

Türkiye Diyanet Vakfı
İslâm Araştırmaları Merkezi
Kütüphanesi

Dem. No:	52065
Tas. No:	297.941 SUR.H

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

١٩٦٤

دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
تليفون ٩٠٥٢٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وبعد : فهذا كتاب يتناول الحياة السياسية فى الدولة العربية فى الشرق من عهد أبى بكر إلى آخر القرن الثانى الهجرى ، يتجلى لنا فيها تطور نظام الحكم فى هذا العصر ، وظهور الأحزاب السياسية الدينية ، والحركات الاستقلالية فى بلاد الحجاز والعراق ، والتنافس بين الفرس والعرب على النفوذ .

وكانت مسألة نظام الحكم أول مشكلة واجهت المسلمين بجزيرة العرب بعد وفاة النبى ؛ فلم يعهد الرسول لأحد ، من صحابته بتدبير أمور المسلمين بعده ، لذلك أصبح لزاماً عليهم أن يقيموا فى حدود القرآن والسنة نظاماً يعصمهم من الفُرقة والخلاف ؛ ومن ثم نشأ نظام الخلافة ، وواجه أبو بكر الذى أُختير أول خليفة للمسلمين عدة صعاب فى سبيل توطيد دعائم خلافته ، لكنه ما لبث أن تغلب على هذه الصعاب ، وعادت الجزيرة العربية فى منتصف السنة الثانية عشرة للهجرة إلى سابق وحدتها تدين بالطاعة للحكومة الإسلامية فى المدينة .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد وضع أساس سياسة التوسع للدولة العربية الإسلامية كما عمل على نشر لواء الإسلام خارج حدودها ، لذلك واصل الخلفاء الراشدون من بعده تنفيذ هذه السياسة ، فوجَّهوا أنظارهم خارج حدود الجزيرة العربية ؛ وأصبح العرب منذ ذلك الوقت عاملا مهماً فى التاريخ العام ، إذ أدخلوا فى حوزتهم أعظم دول العالم الشرق القديم ، وغلَّبوا ثقافتهم ودينهم على الأقاليم التى فتحوها .

وبينما كانت الدولة العربية الإسلامية تسير بخطى واسعة نحو الاستقرار، تعرضت لاضطرابات داخلية من جراء التنافس على الخلافة بين بنى هاشم وأبناء عمهم بنى أمية . وتجلى هذا التنافس فى بداية الأمر منذ أن نُتخب عثمان ابن عفان خليفة ، إذ لقى انتخابه معارضة من بنى هاشم الذين كانوا يطمعون فى أن تؤول الخلافة اليهم ؛ وأخذت بعض الشخصيات تثير السُّخط على سياسة عثمان وتجهرُ بأحقية على بن أبى طالب بالخلافة ، وتعمل على الدعوة له . ولم يزل الحال على ذلك حتى انتهت حياة عثمان . فأتى أهل المدينة علياً ، وألحوا عليه فى قبول الخلافة ، فقبلها خشية الفتنة ؛ لكنه مالبث أن لقى معارضة قوية من بنى أمية بالشام بزعامة معاوية بن أبى سفيان ، وتطورت هذه المعارضة إلى حرب دارت رحاها فى صِفّين ، ثم مال الفريقان إلى المسالمة وإحلال التحكيم محل الحرب .

على أن الحكمين اللذين وقع عليهما الاختيار من جانب أهل العراق والشام لم يعملا على إنهاء الخصومة بين الهاشميين والأمويين ، فاستمر النزاع قائماً بين الفريقين ؛ وأخذت الصعاب تُلاحق علياً فى دولته حتى خلفه ابنه الحسن الذى لم يلبث أن اضطر — حين رأى أهل العراق ليسوا جادين فى نُصرته — إلى عقد صلح مع معاوية نزل له عن حقه فى الخلافة على أن يكون الأمر شورى بعد وفاته .

تطورت الحياة السياسية فى الدولة العربية منذ انتقل الحكم إلى الأمويين؛ فمن ناحية الخلافة شرع معاوية فى جعلها وراثية مع أن أمرها ليس مِلْكاً خاصاً له وإنما هو مِلْك لسائر المسلمين . ولم يأل جهداً فى سبيل استخلاف ابنه يزيد بعده لكنه مع ذلك لقى معارضة قوية من كبار الصحابة بالحجاز ، كما أثار بنقضه العهد الذى أخذه على نفسه حين ولى الخلافة الفرقة بين المسلمين ، بل ترك للأمويين من بعده مهمة ضم الولايات الإسلامية كلها تحت لواء خليفة واحد .

وكانت بلاد الحجاز تعارض الحكم الأموى ؛ فأهلها يرون أن تعود الخلافة إلى ما كانت عليه فى عهد الخلفاء الراشدين ، بينما رأى الأمويون أن يدافعوا عن حق صار لهم ، ومن ثم قامت بتلك البلاد حركات استقلالية ، سارع الأمويون إلى القضاء عليها ، وتم لهم بذلك إخضاع بلاد الحجاز لسيادتهم .

ولم يكن موقف بلاد العراق من الحكم الأموى خيراً من موقف بلاد الحجاز ؛ فقد انتشر نفوذ الخوارج فى أمصار العراق ، كما قام الشيعة فى الكوفة بثورات عنيفة ضد الأمويين . وكان الخوارج يرون بعد أن انضم إليهم بعض المسلمين من غير العرب أن تكون الإمامة لكل مسلم يتصف بالصفات الحسنة . أما الشيعة فقالوا بانحصار الخلافة فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم وقصرها على علىٍّ وآل بيته ؛ وبذلك خالف هذان الحزبان بنى أمية الذين عمدوا إلى الاستئثار بالحكم .

وكان الأمويون يدركون الخطر الذى يهدد نفوذهم فى الدولة العربية من جراء موقف هذين الحزبين العدائى إزاءهم ؛ فأخذوا يناهضون الخوارج ويتتبعونهم حتى تمكنوا من إضعاف شأنهم فى أخريات عهدهم ، كما اتبعوا نفس هذه السياسة مع الشيعة مما أدى إلى استمرار النزاع بينهم وبين بنى هاشم .

كذلك أخذت الصعاب تواجه الأمويين فى دولتهم بسبب سياستهم القائمة على الانحياز للعرب ؛ فوقف الموالى منهم موقف المعارضة كما أيدوا كل خارج على الحكم الأموى ، وثاروا على ولاتهم لحرمانهم من الحقوق التى يتمتع بها العرب المسلمون وزاد من خطورة ثورات هؤلاء الموالى انضمام بعض المستوطنين من العرب إليهم فى أواخر العصر الأموى .

أصبحت الأحوال السياسية فى الدولة العربية منذ أوائل القرن الثانى الهجرى تنبىء بحدوث انقلاب كبير ، فأخذ العباسيون يتطلعون إلى نيل

الحكم مع أنه ليس لهم حق شرعى فيه كالعلويين أو قوة كالأمويين ، ووجهوا دعاتهم إلى العراق وخراسان ، وكانوا يدعون إلى تولية أحد أفراد البيت النبوى . وقد استطاعوا فى وقت قصير أن يجذبوا إلى صفوفهم الكثيرين من ذوى الرأى ، كما انحاز إليهم الموالى طمعاً فى تحسين حالهم ومساواتهم بالعرب . ولم يكن فى مقدور الأمويين الوقوف فى وجه هؤلاء الدعاة ، فقد ضعف أمرهم فى كثير من الأمصار الإسلامية مما أعان العباسيين على إنهاء الحكم الأموى فى المشرق ، ونقل الخلافة إليهم .

لم يكد يستقر الأمر للعباسيين فى الدولة الإسلامية حتى وجد الموالى من الفرس الفرصة سانحة لاستعادة نفوذهم وإظهار نحلهم القديمة ، وتحقيق مطامعهم القومية ؛ لكن العباسيين وقفوا فى وجههم ونكلوا بكل من تحدثه نفسه بنشر النحل الفارسية القديمة ظاهراً أو خفية ؛ وبذلك قضى بالفشل على حركاتهم واحتفظ العباسيون بسيادتهم فى الدولة .

كذلك واجه العباسيون منذ انتقل الحكم إليهم مناهضة العلويين لهم ، إذ اعتبروهم مغتصبين للخلافة كالأمويين من قبل . وكان العباسيون قد وقفوا على أساليبهم منذ اشتركوا معهم فى العمل ضد الأمويين ، لذلك أصبح فى استطاعتهم تتبعهم ومنازلتهم ؛ بل إننا نلحظ التجاءهم إلى الشدة فى إخماد ثوراتهم . لكن ذلك لم يثن من عزيمة العلويين ؛ فظلوا فى نضال دائم معهم إلى آخر القرن الثانى الهجرى .

ومن الأحداث الهامة التى لهـــا تأثير كبير فى الحياة السياسية للدولة الإسلامية ازدياد نفوذ الفرس وتطلعهم إلى الاستئثار بالسلطة بعد أن أسند إليهم العباسيون المناصب الكبرى ؛ وتجلى ذلك بصفة خاصة حين أسندت الأمور إلى البرامكة وبنى سهل . ولم يخف العرب استياءهم من علو شأن الفرس ، فعبروا عن سخطهم بالثورة ، لكن العباسيين الذين تخلوا فى أول الامر عن العرب لانحيازهم إلى الأمويين رأوا ألا يتيحوا لهم

الفرصة لاستعادة مكانتهم ، ومن ثم بذلوا جهدهم لإخضاع الثائرين منهم ، وظل الفرس محتفظين بالمركز السامى الذى ظفروا به حتى تجلى طموحهم وحرصهم على مصلحتهم القومية ، فأدى ذلك إلى العدول عنهم بالعنصر التركى .

* * *

وقد بدأتُ الكتاب ببحث قيام الخلافة وتطورها فى صدر الإسلام ؛ فبيَّنت الظروف التى ساعدت على بيعة أبى بكر ، كما تحدثت عن الاضطرابات التى منيت بها الأمة العربية فى بداية عهده ، وسياسته فى التغلب على حركة زعماء القبائل الذين خرجوا على الحكومة الإسلامية ولم يتفهَّموا حقيقة الدين الإسلامى .

كذلك وضحت العوامل التى دفعت العرب إلى القيام بحركة الفتوح الأولى ، وما ترتب على هذه الفتوح من اتساع سلطان الخلافة وانتشار الإسلام فى الأقطار التى دخلت فى حوزة الأمة العربية .

وعُنيت أيضاً بدراسة الأسباب التى أدت إلى ظهور النزاع على الخلافة بين بنى هاشم وبنى أميـة ، والعوامل التى مهدت السبيل لنقـــل الحكم إلى الأمويين ، كما تتبعت التطورات التى طرأت على نظام الخلافة فى العهد الأموى ، وخاصة ما يتعلق بجعلها وراثية وتولية العهد لأكثر من واحد .

ولما كان ظهور الأحزاب السياسية الدينية فى العراق قد جعل هذه البلاد من مواطن المعارضة للحكم الأموى ، لذلك اهتممت بتوضيح الجهود التى بذلها خلفاء بنى أمية للقضاء على مناوأة هذه الأحزاب ، كما تحدثت عن انحياز الأمويين للعرب ، وسوء معاملتهم للموالى ، وما نتج عن هذه السياسة من أحداث ساعدت على زوال الخلافة الأموية .

وكان لتطور الحياة السياسية فى الدولة الإسلامية منذ أواخر العهد الأموى إلى نهاية القرن الثانى الهجرى نصيب ، موفور من عنايتى ، فوضحت

الظروف التى هيأت السبيل لنجاح العباسيين فى نشر دعوتهم ، وقيام خلافتهم. وكشفت النقاب عن الوسائل التى اتبعها الموالى فى أوائل العصر العباسى لاستعادة نفوذهم ، كما تحدثت عن أسباب النزاع بين العباسيين والعلويين ، وما بذله كل فريق منهم فى سبيل تحقيق أطماعه وتغليب آرائه ؛ مما أدى إلى إثارة القلاقل فى الدولة .

ومن المسائل الهامة التى عنيت ببحثها انتقال النفوذ من العرب إلى الفرس على أثر زوال الحكم الأموى ؛ فتحدثت عن اعتماد العباسيين على العنصر الفارسى وتخليهم عن العنصر العربى على اعتبار أنه من أنصار الأمويين ، وبينت ما ترتب على ذلك من علو شأن الفرس وازدياد نفوذهم فى الدولة .

والله أسأل أن يوفقنى لمتابعة البحث فى تاريخ الأمة العربية ؟

محمد جمال الدين سرور

القاهرة فى { ٩ المحرم سنة ١٣٨٠ / ٣ يولية سنة ١٩٦٠

الباب الأول
الخلافة فى صدر الإسلام

١ — قيام الخلافة الإسلامية وسياسة أبى بكر فى توطيد دعائمها .

٢ — اتساع سلطان الخلافة .

٣ — بداية النزاع على الخلافة بين بنى هاشم وبنى أمية .

٤ — تطور نظام الخلافة فى العصر الأموى .